وإذا ما خلا الجبان بأرض

يمدحه ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلاث مئة (٩٥٥م):

[الخفيف]

ذِي الْـمَـعَـالِـي فَـلْـيَـعْـلُـوَنْ مَـنْ تَـعَـالَـى
هٰـكَـذَا هٰـكَـذَا وَإِلَّا فَـلَا لَا[١]

شَـرَفٌ يَـنْـطِـحُ الـنُّـجُـومَ بِـرَوْقَـيْـ
ـهِ وَعِـزٌّ يُـقَـلْـقِـلُ الْأَجْـبَـالَا[٢]

حَـالُ أَعْـدَائِـنَـا عَـظِـيـمٌ وَسَـيْـفُ ٱلـدَّ
وْلَـةِ ابْـنُ الـسُّـيُـوفِ أَعْـظَـمُ حَـالَا[٣]

كُـلَّـمَـا أَعْـجَـلُـوا الـنَّـذِيـرَ مَـسِـيـراً
أَعْـجَـلَـتْـهُـمْ جِـيَـادُهُ الإِعْـجَـالَا[٤]

---

(١) يُخاطب الشاعر سيف الدولة. إن ما قام به مأثرة بحدّ ذاتها عظيمة كعظمة صاحبها؛ إنه المجد ولا يأتي جليل الأعمال إلّا من كان جليلاً بنفسه، ومن أراد ذلك فعليه أن يقتدي بما فعله الأمير ويتصدّى للأعداء مهما كثروا وأن يردّوا كيدهم إلى نحورهم، وإلّا فإنهم لا يستحقّون حتى أسماءهم كملوك وقادة، وعليهم أن يتخلّوا عن تكبّرهم الزائف، وحتى عن مكانتهم.

(٢) الروق: القرن. يقلقل: يزلزل. يُردف الشاعر أن تلك المأثرة شرف بحدّ ذاته، به يُناضل النجوم ويُناطحها مُناطحة الأقوياء من ذوات القرون فيُزلزلها عن مكانتها فيبزّها، فإذا بالجبال تتقلقل رهبة وإعجاباً بأعماله العظيمة الباهرة.

(٣) يُقرّ الشاعر بما عليه الأعداء من القوّة في العُدد والعديد، وسيف الدولة وليد سيوف عاركت السيوف فحطّمتها، فورث البطولة، وقد تحدّرت إليه. وراثة وطبعاً، فكان أعظم من الأعداء وأشدّ منهم، فالمنتصر على الأقوياء أقوى منهم وأسعد حالاً.

(٤) يتحدّث الشاعر عن المكر السيّئ الذي حاكه الروم بليل، فإذا بالخراب يأتيهم من حيث لم يحتسبوا وقد حلّ بالروم، فقد أرادوا مباغتة المسلمين في عقر دارهم، فإذا بأهل تلك البلاد يُسرعون بإرسال النذير إلى ولي أمرهم الذي بادر إلى مهاجمة الروم قبل أن يدركه النذير، وذلك من حسن تدبيره وإحساسه بمسؤولية الحاكم تجاه رعيته، فكانت الصدمة عظيمة عنيفة فلم يستطيعوا تحملها وباؤوا بهزيمة نكراء، لأنه عاجلهم دون إبطاء، وكان النصر على الأعداء.

فَـأَتَـتْـهُـمْ خَـوَارِقَ ٱلأَرْضِ مَـا تَـحْـ
ـمِـلُ إِلَّا ٱلْـحَـدِيـدَ وَٱلْأَبْـطَـالَا[١]

خَـافِـيَـاتِ ٱلْأَلْـوَانِ قَـدْ نَـسَـجَ الـنَّـقْـ
ـعُ عَـلَـيْـهَـا بَـرَاقِـعـاً وَجِـلالَا

حَـالَـفَـتْـهُ صُـدُورُهَـا وَالْـعَـوَالِـي
لَـتَـخُـوضَـنَّ دُونَـهُ ٱلْأَهْـوَالَا[٢]

وَلَـتَـمْـضِـنَّ حَـيْـثُ لَا يَـجِـدُ الـرُّمْـ
ـحُ مَـدَاراً وَلَا ٱلْـحِـصَـانُ مَـجَـالَا[٣]

لَا أَلُـومُ ٱبْـنَ لَاوُنٍ مَـلِـكَ الـرُّو
مِ وَإِنْ كَـانَ مَـا تَـمَـنَّـى مُـحَـالَا[٤]

أَقْـلَـقَـتْـهُ بَـنِـيَّـةٌ بَـيْـنَ أُذْنَـيْـ
ـهِ وَبَـانٍ بَـغَـى الـسَّـمَـاءَ فَـنَـالَا[٥]

---

(١) الخوارق: الجياد التي تقطع الأرض حتى تبلغ أقصاها. إنها المفاجأة التي لم يحسبوا لها حساباً؛ إنها جياد تنهب الأرض نهباً بسرعتها الهائلة، يمتطي متونها أبطال يتسربلون الحديد؛ وقد تبدلت ألوانها، فلا يُعرف الأسود من الأبيض منها، ولا الأدهم من الكميت منها، ولا الأشهب من الأشقر منها لما نسج الغبار عليها حتى بدا على وجوهها كالبراقع وكالجلال على متونها.

(٢) و (٣) حالفته: صاحبته وعاهدته. العوالي: الرماح. وثمّة معاهدة قائمة بين سيف الدولة وأدوات حربه من خيول ورماح وسواها أن تُقاتل دونه وتكفيه شرّ أعدائه، فإنهم لا يستحقّون أن يُنازلهم سيف الدولة فإنهم دونه منزلة وقوّة وشجاعة، فيُجالدون عدوّه حينما يضيق المجال في ميدان المعركة، ولا يُحسن الجواد الحركة بحرّية لضيق المجال لحركته والرمح تضيق عليه المسافات لتلاحم الجيشين؛ في هذه الحالة تجد في عتادك ما يُفرحك ويُرضيك في أعدائك.

(٤) و (٥) يسخر الشاعر من ملك الروم ابن لاون؛ فقد تمنّى مستحيلاً تحقيقه لعجزه عن تنفيذ أمنيّته لصعوبة تنفيذها، فتخريب هذه القلعة دونه القتاد وهو أهون عليه منها، رغم صعوبة ذلك أيضاً، فوراء الحدث الحمراء سيف الدولة ذلك البطل الصنديد الذي يضطلع بمسؤوليات جسام ولا تُغمض له عين عن محاولات ملك الروم الإفساد =

كُـلَّـمَـا رَامَ حَـطَّـهَـا اتَّـسَـعَ الْـبَـنْـ
ـيُ فَـغَـطَّـى جَـبِـيـنَـهُ وَالْـقَـذَالَا[١]
يَـجْـمَـعُ الـرُّومَ وَالـصَّـقَـالِـبَ وَالْـبُـلْـ
غَـارَ فِـيـهَـا وَتَـجْـمَـعُ الآجَـالَا[٢]
وَتُـوَافِـيـهِـم بِـهَـا فِـي الْـقَـنَـا الـسُّـمْـ
رِ كَـمَـا وَافَـتِ الْـعِـطَـاشُ الـصِّـلَالَا[٣]
قَـصَـدُوا هَـدْمَ سُـورِهَـا فَـبَـنَـوْهُ
وَأَتَـوْا كَـيْ يُـقَـصِّـرُوهُ فَـطَـالَا[٤]
وَٱسْـتَـجَـرُّوا مَـكَـايِـدَ ٱلْـحَـرْبِ حَـتَّـى
تَـرَكُـوهَـا لَـهَـا عَـلَـيْـهِـمْ وَبَـالَا[٥]

= عليه في كل شيء، ولا سيما تدمير القلعة التي رفع بنيانها سيف الدولة لتكون منيعة عليه وتؤرّق عليه نومه، وهو لا ينفكّ يزيدها مناعة وقوّة بزيادات عليها ممَّا يُؤلم الملك، وغاية الأمير أن ينال رضى السماء ورعايتها بزيادة مناعة تلك القلعة.

(١) رام: طلب. حطّها: تدميرها. القذال: مؤخّر الرأس. لجأ الشاعر إلى تصور الحالة النفسية التي يُعاني منها ملك الروم، إنه يبدو في ضيق شديد من الزيادات التي يُضيفها الأمير لزيادة مناعة القلعة، وكأنه يحملها على رأسه، فكلما زاد الأمير عليها شيئاً ازداد ما على رأس الملك حتى شمل جميع رأسه حتى قذاله وقفاه.

(٢) و (٣) لطالما اجتمعت أمم الغرب وتكالبت على مقاتلة المسلمين، والنتيجة الحتمية توالي الهزائم عليهم في كلّ وقت ومكان. فاجتماع الروم والصقالبة والبلغار شيء طبيعي أن يتوحّدوا في هدف واحد هو محاربة الإسلام فإذا بسيف الدولة يُطيح بهم جميعاً فيكونون وقوداً لسيفه وجيشه، ولقد سارع لمجابهتهم ليقمع آجالهم بالسلاح من رماح وسواها، فإذا بهم يسترفدون آجالهم بأيديهم برماح المسلمين الظامئة إلى دمائهم، وتلك الرماح سريعة الهبة إسراع العطش إلى أرض ممطورة.

(٤) كان الهدف من مسير الأعداء هدم القلعة، فإذا بسيف الدولة يرفع بنيانها ويسمو به إلى العلاء، فباءت محاولاتهم بفشل ذريع.

(٥) يقصد بمكائد الحرب: الآلات. الوبال: نذير الشؤم والخسارة. جاء القوم بقضّهم وقضيضهم وآلات حربهم يجرّونها لتكون وبالاً عليهم ونذير شؤم، فما إن أطلّت بوادر الهزيمة حتى ترك القوم تلك المعدّات وآلات السلاح مؤثرين السلامة بأنفسهم، =

رُبَّ أَمْـرٍ أَتَـاكَ لَا تَـحْـمَـدُ الْـفُـعَّـا
لَ فـيـهِ وَتَـحْـمَـدُ الأَفْـعَـالَا[١]

وَقِـسِـيٍّ رُمِـيـتَ عَـنْـهَـا فَـرَدَّتْ
فـي قُـلـوبِ الـرُّمَـاةِ عَـنْـكَ الـنِّـصَـالَا[٢]

أَخَـذُوا الـطُّـرْقَ يَـقْـطَـعُـونَ بِـهَـا الـرُّسْـ
لَ فَـكَـانَ انْـقِـطَـاعُـهَـا إِرْسَـالَا[٣]

وَهُـمُ الْـبَـحْـرُ ذُو الْـغَـوَارِبِ إِلَّا
أَنَّـهُ صَـارَ عِـنْـدَ بَـحْـرِكَ آلَا[٤]

مَـا مَـضَـوْا لَـمْ يُـقَـاتِـلُـوكَ وَلٰـكِـ
نَّ الْـقِـتَـالَ الَّـذِي كَـفَـاكَ الْـقِـتَـالَا[٥]

= فإذا بجند سيف الدولة يستعينون بتلك الأسلحة ويُلاحقون الفارّين منهم يُعملون فيهم قتلاً وأسراً.

(١) لقد كان لتلك الحملة الفاشلة مفاعيل حسنة النتائج، فقد أدّى ذلك إلى هزيمة الروم، وأمرهم وعملهم مكروه لأنهم حاولوا ضرب المسلمين في عقر دارهم، وما هو محمود منهم أنهم تركوا تلك الأسلحة فكانت خير غنيمة يستعين بها المسلمون على حرب الروم.

(٢) قسي، الواحد قوس. يُردف الشاعر أن تلك القسي رُدّت إلى نحر راميها الذي جاء بها إلى حرب المسلمين، والقسيّ فاستعملها جند الأمير في مطاردتهم للروم، فارتدّت وبالاً عليهم فكانت من أسباب قتلهم.

(٣) الرسل: البريد. لقد احتاط الروم من إنذار الأمير بما يحصل في القلعة، ولكن حدس الأمير وشعوره بالمسؤولية حمله بسرعة لمواجهة الأمر بشجاعة، فكان الإرسال عنده ذاتياً من ذات نفسه.

(٤) الغوارب: أعالي الأمواج. الآل: السراب. يُشبّه الشاعر الروم بالبحر الهائج لكثرة عدده وضجيجه المتعالي، ولكن سرعان ما تحوّل ذلك البحر إلى سراب لا وجود له، فصار كأنه ما كان، وانتهى أمره إلى تلاشٍ واضمحلال.

(٥) إنه الرعب المتأصل في نفوس الروم، فما إنْ شاهدوا طلائع جيش سيف الدولة حتى داخلهم رعب شديد فانهزموا نفسياً وانهارت قواهم، فكانوا طعماً للهزيمة شأنهم في كلّ مواجهة مع ما يُرعبهم، حتى لدى ذكر اسم سيف الدولة دون رؤيته.

وَالَّـذِي قَـطَّـعَ الـرِّقَـابَ مِـنَ الـضَّـرْ
بِ بِـكَـفَّـيْـكَ قَـطَّـعَ الآمَـالَا[١]
وَالـثَّـبَـاتُ الَّـذِي أَجَـادُوا قَـدِيـمـاً
عَـلَّـمَ الـثَّـابِـتِـيـنَ ذَا ٱلإِجْـفَـالَا[٢]
نَـزَلُـوا فِـي مَـصَـارِعٍ عَـرَفُـوهَـا
يَـنْـدُبُـونَ ٱلأَعْـمَـامَ وَٱلأَخْـوَالَا[٣]
تَـحْـمِـلُ الـرِّيـحُ بَـيْـنَـهُـمْ شَـعَـرَ ٱلْـهَـا
مِ وَتُـذْرِي عَـلَـيْـهِـمِ ٱلأَوْصَـالَا[٤]
تُـنْـذِرُ ٱلْـجِـسْـمَ أَنْ يَـقُـومَ لَـدَيْـهَـا
وَتُـرِيـهِ لِـكُـلِّ عُـضْـوٍ مِـثَـالَا[٥]
أَبْـصَـرُوا الـطَّـعْـنَ فِـي الْـقُـلُـوبِ دِرَاكـاً
قَـبْـلَ أَنْ يُـبْـصِـرُوا الـرِّمَـاحَ خَـيَـالَا[٦]

(١) و (٢) إنها سابقة علّمت هؤلاء القوم أن ما نزل بأسلافهم من فتك على أيدي الأمير هو ما حملهم على الفرار والانتكاس مخافة الموت، علماً أن الأولين منهم ما كانوا جبناء بل كانوا شجعاناً أقوياء ومع ذلك فقد أنزل بهم الأمير الخسف والموت ولم ينفعهم ثباتهم في قتالهم مع جيش الأمير، ومع ذلك فقد أجفلت نفوس بعضهم.

(٣) وردت الأبيات الأربعة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٣. المصارع، الواحد مصرع: أمكنة مقاتلهم. من علائم شؤم هؤلاء الروم أنهم نزلوا حيث لقي من سبقهم إلى معاداة مصرعه، فإذا بهم يذكرون أحباءهم ممَّا جعلهم يتألّمون ويبكون قتلاهم من الأعمام والأخوال، فحملهم على تحسس رؤوسهم وتصوّر مصارعهم ولهذا عجّلوا بالفرار.

(٤) و (٥) الأوصال، الواحد وُصل: الأعضاء. الهام، الواحدة هامة: الرؤوس. تذري: تثير. لم يكن عهد ما حصل لأسلاف الروم هؤلاء ببعيد؛ إنها شعور القوم تتلاعب فيها الرياح وبقايا أشلائهم تتقاسم بالأرض ممَّا أثار في نفوسهم الرعب فآثروا الحياة على القتل، ففرّوا بأنفسهم؛ إنه إنذار مرعب، جعل القوم يتحسسون أعضاءهم، فكلما شاهد أحدهم تحسس أخاه في جسده مخافة أن يقع منه.

(٦) الطعن الدراك: المتوالي. يصوّر الشاعر شدّة خوف القوم، فإذا بخيالهم يُطيح بهم =

وَإِذَا حَـــاوَلَـــتْ طِـــعَـــانَـــكَ خَـــيْـــلٌ
أَبْـــصَـــرَتْ أَذْرُعَ الْـــقَـــنَـــا أَمْـــيَـــالَا[١]
بَـسَـطَ الـرُّعْـبُ فِـي الْـيَـمِـيـنِ يَـمِـيـنـاً،
فَـتَـوَلَّـوْا، وَفِـي الـشِّـمَـالِ شِـمَـالَا[٢]
يَـنْـفُـضُ الـرَّوْعُ أَيْـدِيـاً لَـيْـسَ تَـدْرِي
أَسُـيُـوفـاً حَـمَـلْـنَ أَمْ أَغْـلَالَا[٣]
وَوُجُـوهـاً أَخَـافَـهَـا مِـنْـكَ وَجْـهٌ
تَـرَكَـتْ حُـسْـنَـهَـا لَـهُ وَالْـجَـمَـالَا[٤]

= من التصوّر إلى الواقع وكأنه حقيقة لا مفرّ منها، لذا راح بعضهم يتحسس قلبه ليطمئن إن كان لا يزال ينبض بالحياة.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٢. القنا: عيدان الرماح. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأن فرسانه يُثيرون الرعب في نفوس من حاول الطعان من الأعداء، فإذا بأيديهم لا تقدر على حمل الرماح لأن الخوف ملك عليهم نفوسهم، فشلّ فيهم إرادة الكفاح، فهم يتوقّعون أن تُدركهم رماح جيش الأمير ولو كانوا على بعد أميال، فتصوّرهم يقرّب المسافات وقد يُلغيها في حال اشتداد فزعهم.

(٢) يُتابع الشاعر حالة ما كان عليه الروم، وقد شملهم الخوف من كلّ جانب، فميمنة جيشهم تحكّم فيها يمين الرعب وشماله شمل شمالهم، بحيث شُلّت قدرتهم فتولّوا هاربين من مصائرهم.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٣. الروع: شدّة الرعب. الأغلال، الواحد غلّ: القيود والسلاسل. يُتابع الشاعر رسم صورة ما كان عليه جنود الروم، كان هؤلاء يحملون سيوفهم التي فقدت دورها الذي من أجله كانت، فأصبحت سلاسل وقيوداً لجبنهم وتخاذلهم، فقيدت إراداتهم وأيديهم.

(٤) يمدح الشاعر سيف الدولة ويُذري على جنود الروم؛ تقابلت الوجوه، وجه يشعّ بهاءً وجمالاً وتألّقاًونوراً، إنه وجه الأمير الذي زاده النصر جمالاً ونضرة على ما يتمتّع به في الأصل، ووجوه كالحة اكتست بصفرة الموت، ملأها الرعب وانسلخ عنها رونق الجمال فبدت وجوهاً لا لون لها، حتى أشكالها ضاعت معالمها لما هي عليه من عدم الارتكاز النفسي والحسيّ.

وَالْـعِـيَـانُ ٱلْـجَـلِـيُّ يُـحْـدِثُ لِـلـظَّـنِّ زَوَالاً وَلِـلْـمُـرَادِ ٱنْـتِـقَـالَا[١]

وَإِذَا مَـا خَـلَا ٱلْـجَـبَـانُ بِـأَرْضٍ طَـلَـبَ الـطَّـعْـنَ وَحْـدَهُ وَالـنِّـزَالَا[٢]

أَقْـسَـمُـوا لَا رَأَوْكَ إِلَّا بِـقَـلْـبٍ طَـالَـمَـا غَـرَّتِ الْـعُـيُـونُ الـرِّجَـالَا[٣]

أَيُّ عَـيْـنٍ تَـأَمَّـلَـتْـكَ فَـلَاقَـتْـ ـكَ وَطَـرْفٍ رَنَـا إِلَـيْـكَ فَـآلَا[٤]

مَـا يَـشُـكُّ ٱلـلَّـعِـيـنُ فـي أَخْـذِكَ ٱلْـجَـيْـشَ فَـهَـلْ يَـبْـعَـثُ ٱلْـجُـيُـوشَ نَـوَالَا[٥]

---

(١) لقد حدثت الروم أنفسها بأنهم قادرون على محاربة الأمير؛ فتلك أمانيّهم عادت عليهم بالخسران المبين عندما كانت المواقعة والمواجهة، فانجلت عن أعينهم غِشاوة خادعة وبان لهم قصورهم، فانقلبوا على أنفسهم خاسرين.

(٢) ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٣: ٣١٨، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٣. النزال: المقاتلة والمباراة. إن الروم لجهلهم حقيقة من يُعادون، فقد صوّر لهم غرورهم وحمقهم أنهم أقوياء، وهم يستعرضون أنفسهم على أنفسهم، لذا طلبوا منازلة السراب ليتأكدوا أن باستطاعتهم ومقدورهم الانتصار على الأمير.

(٣) نتيجة قناعات الروم أنهم قادرون على محاربة الأمير حملتهم على المغامرة، فكان الامتحان عسيراً عليهم وكشف عن سوء فهم وتسرّع في فهم ما رأته عيونهم من قوّة واهمة أدّت إلى هزيمة نكراء، فإذا بهم يُعملون عقولهم ولكن بعد فوات الأوان.

(٤) الطرْف، بسكون الراء: النظر. رنا: أدام النظر. آل: رجع، يمدح الشاعر ممدوحه بمهابته وقوّة شخصيّته، فالأعداء لا يجرؤون على إدامة النظر إليه ومعنى ذلك تسرّب الرعب إلى قلوبهم قليلاً قليلاً بقدر ما يستمرّون، وأما الأصحاب والأولياء والمواطنون فيرغبون بإدامة النظر إليه ليتأمّلوا محاسن وجهه ملؤهم الإعجاب والحبّ والتقدير. ومن أحبّ شيئاً أدام النظر إليه، فكيف بمن عرف سيف الدولة؟

(٥) يقصد الشاعر باللعين قيصر الروم. النوال: العطاء. يُشكِّك الشاعر بنيّة الملعون المطرود من رحمة ربّه، قيصر الروم؛ أن يُوالي بعث جيوشه لمحاربة سيف الدولة، =

مَـا لِـمَـنْ يَـنْـصِـبُ ٱلْـحَـبَـائِـلَ فِـي الأَرْ
ضِ وَمَـرْجَـاهُ أَنْ يَـصِـيـدَ الْـهِـلَالَا[١]
إِنَّ دُونَ الَّـتِـي عَـلَـى الـدَّرْبِ وَالأَحْـ
ـدَبِ وَالـنَّـهْـرِ مِـخْـلَـطـاً مِـزْيَـالَا[٢]
غَـصَـبَ الـدَّهْـرَ وَالـمُـلُـوكَ عَـلَـيْـهَـا،
فَـبَـنَـاهَـا فِـي وَجْـنَـةِ الـدَّهْـرِ خَـالَا[٣]
فَـهْـيَ تَـمْـشِـي مَـشْـيَ الْـعَـرُوسِ اخْـتِـيَـالاً
وَتَـثَـنَّـى عَـلَـى الـزَّمَـانِ دَلَالَا[٤]
وَحَـمَـاهَـا بِـكُـلِّ مُـطَّـرِدِ الأَكْـ
ـعُـبِ جَـوْرَ الـزَّمَـانِ وَٱلأَوْجَـالَا[٥]

= وهو يعلم أن تلك الجيوش لن تعود إليه ظافرة، بل إنها لن ترجع إليه أصلاً، لأن الأمير سيظفر بها لتكون له مدداً ومن أسباب عظمته وعلو شأنه.

(١) ورد البيت في أمالي ابن الشجري ١: ٢٣٧. الحبائل: الشراك. يسخر الشاعر من الروم، إنه كمن ينصب الشراك في أرض خلاء، وفي نيّته أن يصيد الهلال الوليد في سماء تفصله عنه الآماد والمسافات البعيدة. إنها حماقة لا تقاربها حماقات المجانين، فكيف بمن يلي أمور الناس ومصائرهم؟ والأمر يتعلّق بسيف الدولة، ذلك الأمير الذي أذاق الروم مرارة هزائم متكرّرة.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٣. الدرب: الطريق المؤدّي إلى بلاد الروم. الأحدب: جبل قرب حصن الحدث. النهر: موضع قرب حصن الحدث. يُنوّه الشاعر ببطولة سيف الدولة؛ إنه حامي قلعة الحدث الواقعة على تخوم بلاد الروم وهي الموقع المتقدّم لثغور المسلمين، فلا بدّ لحمايتها من بطل قادر على حمايتها ومقاتلة الروم والانتصار عليهم دائماً وفي كلّ جولة.

(٣) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٨١، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٣. غصب: قهر. الخال: الشامة في وجه الإنسان. لم يكن الحصن ضربة حظّ، ولكن ذلك لم يحصل إلّا بالقوّة والقهر، فقد رفع الأمير بنيان الحدث بإرادة وعزم صادقين فكانت بمثابة خال يُزيّن وجه بلاد الثغور في ذلك الصقع، رغم محاولات يائسة من الدهر المعاكس والملوك الأعداء.

(٤) و (٥) الاختيال: الزهو. الدلال: الغنج. يصف الشاعر الحالة التي عليها القلعة، إنها =

وَظُبًى تَعْرِفُ ٱلْحَرَامَ مِنَ ٱلْحِـ
ـلِّ فَقَدْ أَفْنَتِ الدِّمَاءَ حَلَالَا[١]

فِي خَمِيسٍ مِنَ ٱلْأُسُودِ بَئِيسٍ
يَفْتَرِسْنَ النُّفُوسَ وَٱلْأَمْوَالَا[٢]

إِنَّمَا أَنْفُسُ ٱلْأَنِيسِ سِبَاعٌ
يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَٱغْتِيَالَا[٣]

مَنْ أَطَاقَ ٱلتِّمَاسَ شَيْءٍ غِلَاباً،
وَٱغْتِصَاباً لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالَا[٤]

كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى
أَنْ يَكُونَ الْغَضَنْفَرَ الرِّئْبَالَا[٥]

= تزهو فخورة بعزّتها كعروس تتثنى وتميس بمشيتها مختالة فرحة بجمالها وعِزّتها، إنها فلتة زمان سيف الدولة حامي حماها وقاهر أعدائها فحقّ لها دلالها وغنجها، فبانيها أمير عظيم، وقد حماها بالرماح المطردة المستقيمة ذوات الأكعب من الحدثان، ودفع عنها جور الزمان وظلم الأعداء، فلم تعرف للخوف معنًى ولم ينزل بها شبحه.

(١) و (٢) الظبى، الواحدة ظبة: طرف السيف والسهم. يذكر الشاعر دور سيف الدولة، فقد حمى القلعة بالسيوف من وجب قتله من الروم الكافرين، فكانت دماؤهم حلالاً على سيوف المسلمين لاعتدائهم المستمرّ عليها، في جيش عرمرم عظيم، قد استأسد الجند فيه؛ إنهم أبطال شجعان يمتازون بالمهابة والعزّة وبشدّة البأس، إنهم ينتهبون أرواح الروم وأموالهم غنائم أحلّت لهم بشرع اللّه تعالى وباعتداء الروم عليهم.

(٣) ورد البيت في: شرح شواهد الشافية، للبغدادي: ٢٩٦، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٤. الأنيس: من يُستأنس به للطفه. يتفارسن: يتقاتلن. الاغتيال: القتل غدراً. يحكم الشاعر على البشر، هم في تكالبهم على الحياة كالمفترس من الحيوانات، يتباغضون ويتقاتلون بشراسة حتى الموت، فليجأون إلى أدنى الوسائل وأحقرها لتحقيق ما يصبون إليه بشتى الطرق وفي كلّ وقت.

(٤) و (٥) الغلاب: المغالبة. الاغتصاب: الحصول على ما يريدون بالقوّة. الغضنفر والرئبال: من أسماء الأسد. في العداء والكراهية، فمن قدر على تحصيل أمر من أمور الغلبة والسلطان والعلو عمد إلى وسائل مكروهة حتى من قبله لو فعلها غيره، =